إشكالية العنف في رواية (وطن من زجاج) لياسمينة صالح أنموذجا

The problem of violence in "A Country of Glass" by Yasmin Saleh is a model

نور الهدى العيفة[1]، عبد العزيز بوشلالق[2]

[1] مخبر الشعرية، جامعة المسيلة،(الجزائر)،nurelhouda.laifa@univ-msila.dz

[2] جامعة المسيلة،(الجزائر)،abdelazizbouchelaleg@univ-msila.dz_

تاريخ الاستلام: 2019/08/18 تاريخ القبول: 2019/11/11 تاريخ النشر: 2019/12/19

الملخص:

انسكب **العنف** الناتج عن المأساة التسعينية في الجزائر على متون الكثير من الأعمال الرّوائية الجزائرية كتيمة رئيسية ومنهلاً للكتابة والإبداع حاملاً معه سوداوية النهاية و رمزية الموت الناتجين عن العنف و المأساة.

الكلمات المفتاحية : الرواية الجزائرية ،العنف،ياسمينة صالح.

Abstract:

The violence of the 1990s tragedy in Algeria has spilled over much of Algeria's fiction as a major imperative and a platform for writing and creativity, bringing with it the darkness of the end and the symbolism of death resulting from violence and tragedy.

Keywords: The Algerian novel, violence, Yasmina Saleh

المؤلف المرسل: نور الهدى العيفة، **الإيميل:**nurelhouda.laifa@univ-msila.dz

مقدمة

يشكّل الواقع منبعًا للكتابة؛ لذلك سعى الخطاب الرّوائي نقله بصورة صادقة وواضحة لِمَا مرّت به الجزائر من أزمات عديدة عرفت فيها العنف بأشكاله، بدءًا بالاستعمار الفرنسي الذي تفنن في ممارسة العنف على أفراد الشعب الجزائري، وصولًا إلى الثورة التحريرية، وما تبعها في فترة التسعينيات من تجاوزات خطيرة، حيث سُميت **بالعشرية السوداء** لحدّة وبشاعة العنف فيها وتنوّعه.

ورغم ذلك فإنّ السرد كان موجودًا بقوّة، محاولًا تشخيص الحالة الشعورية والنفسية للشعب الجزائري، وبالتّحديد المثقف الذي كان مستهدفاً أكثر من غيره، وهذا ما نلحظه في تجربة " **ياسمينة صالح** "؛ حيث انطلقت من تيمة العنف التي تعتبر من أهم التيمات المشتغل عليها في رواية **(وطن من زجاج)** في محاولة منها لتشريح الواقع المأساوي ونقله بصورة واضحة ودقيقة، ولذلك وجب علينا التساؤل : كيف صوّرت ياسمينية صالح معاناة الشخصيات في عملها مع عنف الإرهاب؟ وكيف تناولت الرّوائية سؤال العنف والموت الناتج عنه كرمزية مختلفة الأشكال؟ ومن فرضيات هذا البحث هو معاناة المبدع /الروائي الجزائري سواء كان رجلا أو امرأة من العنف كونه مثقفا عايش تلك الفترة. ومثال ذلك روائيتنا ياسمينة صالح الذي عملها قيد الدراسة، مفترضين أن معاناة شخصيات العمل مع العنف الإرهابي هي تجربة خاصة عايشتها الروائية.

وبذلك فإن الحل هو اللجوء إلى الكتابة ضد العنف، ومحاولة الوصول إلى الأهداف، ومن ثمة الوصول إلى نتائج العنف على الشّخصيات داخل الفضاء الرّوائي، مصورة بذلك مرارة الموت، في مسعى من المبدعة الجزائرية فك شفرة هذه التيمة السوداء. كما نهدف للوصول إلى أن الكتابات متعدّدة ومختلفة لكن القضية والمعاناة واحدة، وهذا بتسليط الضوء على نموذج روائي الذي هو واحد من كثير من النمادج المشيرة لمثل هذا الموضوع، وذلك بتطبيق المنهج الوصفي التحليلي.

وعليه كان الاشتعال في هذه الورقة البحثية على رواية "**وطن من زجاح** " لياسمينة صالح باعتباره نموذجا للدّراسة، لارتكازها على تيمة الإرهاب كبؤرة رئيسة للعمل بعد تيمة الثورة المشار إليها في بداية الرّواية؛ لأنّ كلا التيمتين تحملان معنى العنف.

لذلك وجب علينا الوُلوج إلى الدّراسة بالوقوف، أولًا، على عتبة المصطلح لتتّضح الدّراسة، ويتم رصد "**ظاهرة العنف**" بالتعريف والتحليل :

2. تعريف العنف " Violence ":

1.2 لغة:

جاء في قاموس (**المحيط**) معنى ا"**لعنف**" على النحو الآتي: « (...) **العنيف** من لا رفق له بركوب الخيل و الشديد من القول و السير ، واعتنق الأمر ، أخذه بعنف وابتدأ وائتنفه وجهله ، وعنفه لامه بشدة »(1) (الفيروز آبادي مجد الدين،1998،ص839).

أمّا (**لسان العرب**) فقد ورد على أنّه : « الخرق بالأمر و قلةّ الرّفق به ، وهو ضد الرّفق (..) و العنيف إذا لم يكن رفيقًا في أمره، واعتنق الأمر أخذه بعنف (...) »(2) (ابن منظور ابو الفضل جمال الدين،2005، ص2786).

من **التعريف اللغوي** نصل إلى معاني عديدة يحملها العنف منها: الغلظة في التعامل والكلام، القتل، اللّوم الشديد، الخوف الشديد، الفزع، العنف اللّفظي والجسدي، وكلّها تصبّ في معنى واحد وهو: ممارسة القوة للوصول إلى غاية معينة، أو أخذ شيء، ليس لك، بالقوة .

2.2 اصطلاحًا :

ورد مصطلح "**العنف**" اصطلاحًا على أنّه « ضغط جسدي أو معنوي ذو طابع فردي أو جماعي، يُنزله الإنسان بالإنسان »(3) (بييرفيو، د. ت، ص138).

يشير هذا التعريف إلى مدى شرور البشر، فالأذى الحاصل للإنسان مصدره الإنسان نفسه سواء أكان فرداً أو جماعة. و**العنف** ليس جسديا فقط، بل معنويا أيضًا، وكلاهما صادر عن الإنسان.

وعليه جاء **مفهوم العنف** عند علماء النفس منهم "**سيغموند فرويد**" حيث عرّفه بأنّه : «نزعة تتحكّم بالإنسان بالإضافة إلى الغريزة الجنسية (..)»(4)(حسن إبراهيم، 2009، ص12).

أشار "**فرويد**" هنا إلى نوع آخر من **العنف** وهو "**العنف الجنسي**" ، وبالتّالي فهو يرى أنّ الإنسان كائن غرائزي ليس عدوانيًّا. أمّا "**فوكو**" فيرى أنّ **العنف** : « مصدره القوة التي تتّخذ أشكالا مختلفة، ليست شرطة أو سلاح الجيش أو السلاح فقط، وإنّما لها أشكال عدّة يمكن البرهنة عليها بالنظر في المجتمع والحياة اليومية، فكل تراكم للمعرفة الاجتماعية، وكلّ نوع من أنواع البحث والتنميط والتصنيف والحكم هو صورة من صور ممارسة القوة وبالتّالي العنف » (5) (حامد خليل،2011، ص20).

ورد "**العنف**"، **إذن**، على أنّه نتيجة لاستخدام القوّة في الحصول على أي شيء سواء كان لك أو ليس لك ويكون سببه تراكمات نفسية واجتماعية واقتصادية لتتفاقم الأوضاع وتتصاعد الضغوطات وصولاً إلى نقطة الانفجار المؤدّية للعنف.

ومن أنواع العنف أيضًا نجد ما سمي **بالعنف السياسي** وهو: «استخدام القوّة المادية أو التهديد باستخدامهما لتحقيق أهداف سياسية »(6) (غشير سامية ،2015).

والواقع أنّ الجزائر عرفت **العنف السياسي والإرهابي**، ولذلك حملت الرّواية على عاتقها الإشارة إلى ظاهرة الإرهاب في أغلب الكتابات الرّوائية؛ «فخلال فترة التسعينات غرقت البلاد في دوامة العنف والتّطرف وبرزت مظاهر الدمار والفساد وتعتم الأفق وكان الموت هو السائد والمهيمن وقدم الرّوائي نماذج من الشخصيات الإرهابية التي بثت الفوضى والعنف »(7) (غشير سامية ،2015).

كما كانت هناك شخصيات ضحية (**الشعب/ المدنيون**)، وأيضًا شخصيات مستهدفة (**المثقفون**) خاصة الصحفيون، وهذا ما تترجمه الحالة النفسية المتأزمة لشخصيات الرّوايات الجزائرية المرتكزة على تيمة "**العنف**" منها رواية " **وطن من زجاج** "، وتلك الحالة التي وصلت إليها شخصيات العمل التي كان سببها العنف الإرهابي الذي عايشه أبطال الرّواية خاصة بطلها الذي كان شابًا صحفيًّا – مثقفًا – واجه كثيرا من التهديدات والضغوط النفسية، وشهد موت ونهاية العديد من أصدقائه وزملائه نتيجة لذلك **الطاغوت الأسود**، فكانت النغمة العنيفة مدونة في ثنايا الخطاب الرّوائي، راسمة لنا لوحة فجائعية بامتياز .

تعتبر « الرّواية الجزائرية الصادرة بعد العشرية الدموية مليئة بالفواجع والمآسي والآهات، واغترفت مادتها الحكائية من مجريان الواقع في الفترة التسعينية، ومن المأساة الفعلية الدّموية، ومن الأحداث السياسية الساخنة وإن **العنف غير الشرعي** الذي ساد آنذاك

والذي مورس في حق الجزائريين اجتره الكاتب الجزائري في سردياته»(8) (عثمان فايزة، 2016/2015م، ص03).

إنّ الأزمات والمطبّات التي عرفتها الجزائر ولدت وأنتجت كتابة مشحونة بالغضب والتوتر، مبرزةً بشكل واضح وجلي ذلك التصدّع والانشقاق الذي عايشه الشعب ومنه المبدع والمثقف، لتكون الرّواية شاهدًا على ذلك الصراع المنبثق من رحم العنف والذي كان طاحونة رحاها الشعب الجزائري البريء (المدنيون والمثقفون)، أزمة أخذ قلم "ياسمينة صالح " مهمة التعبير عنها مثله مثل العديد من الأقلام الرّوائية الجزائرية الأخرى، فاضحة كلّ الانزلاقات الخطيرة التي عصفت بالبلد كاستراتيجية إبداعية ورؤية ثاقبة للكشف عن أنياب ذلك الوحش المدمر (العنف).

3. تجليات العنف في رواية " وطن من زجاج":

وقفت الرّوائية الجزائرية " **ياسمينة صالح** " في عملها الرّوائي الموسوم بـ" **وطن من زجاج** " على تيمة **العنف** بإشكالية مختلفة؛ إذ تخبّطت شخصيات عملها (خاصة الشخصية البطلة) في دوامة الضغط النفسي والعذاب والقتل والكبت والتنكيل الناتج عن العنف إثر الخلل الذي أصاب البلاد في عتمة **العشرية الحمراء.** وبما أن الإرهاب يعتبر مظهرًا من مظاهر العنف فهو « في كنهه هو أقصى تمظهرات العنف وأشده ؛ لأنّه لا يعترف للحياة حقًا عند الآخر ما لم يكن الآخر عن هيمنة » (9)(عثمان فايزة،2016/2015،ص19). فالمأساة التسعينية ظهرت بشكل جلي في خطاب ياسمينة الرّوائي كابوس مريب عصف بشخصيات العمل إلى هاوية النهاية والموت كنتيجة حتمية لمثل هذا العنف، وعليه نرصد العنف في رواية "وطن من زجاج " من خلال استقراء أنواعه المختلفة، ومنه نجد:

1.3: العنف الإرهابي:

كان الإرهاب والتطرّف موضوعًا أساسيًّا في رواية **ياسمينة صالح،** حيث كان سببًا للعنف، من خلال التعذيب والتخويف والقمع والقهر وبالتالي كانت الرّواية دعوة صارخة لتجاوز **العنف** بتحديداته، ودعوة من الرّوائية لإيجاد جوّ أكثر وعيا وأقل بشاعة باقتحامها لمثل هذا العالم وإماطة اللثام عنه، ولأنّ الإبداع في رحلة دائمة لتجاوز الذات من أجل إبداع الأفضل والأحسن والأمثل، ومثال ذلك نجد في الرواية:

«(...) كان الموت رهيبًا وهو يأتي محملًا بالكلمات الجاهزة قال عنه زميله : لقد مات في اشتباكات حين كان يطارد جماعة مسلحة ... »(10)(صالح ياسمينة،2006،ص07).

بدأت الرّوائية رحلتها في السرد بمؤشرٍ واضحٍ على العنف الإرهابي، وهو موت الشرطي " الرشيد" كأوّل شخصية في الرّواية حملت وشاح الموت والسوداوية الناتجين عن الأذى والعنف من قبل الجماعات المسلحة / الإرهاب التي كانت تنخر البلاد / الجزائر حينها .

ومنه نجد أيضًا نجد :

« (...) حتى في حالات الشتات والخوف اليومي والجري خلف تلك الظلال الممتدة من وإلى الفراغ والهاوية .. تلك الظلال الرهيبة التي يسميها الناس: إرهابيون .... أو متطرفون ، أو مسلحون أو متمردون أو معارضون (...) لا أحد كان يعرفهم ..لا أحد..هم الحاضرون في سوداوية ظلالهم (...) حين يطلقون النار على الضحية المنتقاة لم يركضون » (11) (صالح ياسمينة ،2006،ص ص7، 8).

تقف الرّوائية هنا أيضًا على **العنف الإرهابي** مصورةً لنا مرارة الموت، وهنا يحمل الموت معنى آخر؛ إذ يشير إلى منبع هذا الضرر، الألم والعنف، وهم من عرفتهم الجرائد في فترة **العشرية السوداء** الذين أطلقت عليهم الرّوائية أسماء مختلفة على لسان بطلها.

« لكن النهاية قائمة والحكاية تبدأ من المقبرة دائمًا !»(12) (صالح ياسمينة ،2006،ص8).

اعتبر العنف مجالا للكتابة والإبداع؛ حيث ارتكزت عليه "**ياسمينة صالح**" لتسليط الضوء ووضع أصبع الإبداع على ما اقترفه سفاكو الدماء في الفترة التسعينية. وممّا ورد في ثنايا السرد أيضًا على لسان بطل الرواية:

«(...) وكيف نبكي ذلك البكاء الذي لا يجعل القتلة يبتسمون خلسة محركين رؤوسهم استهزاءً (...) شعرت بالحزن ؛ لأنّ **الرشيد** مات قتل أو انتحر ..» (13) (صالح ياسمينة، 2006، ص ص8،9).

يشير هذا المقطع من الرّواية إلى اغتيال شريحة من المجتمع الجزائري حينها على يد الإرهابيين، ومنهم رجال الشرطة الذين راحوا ضحية وهم يؤدّون واجبهم الوطني، فظفروا

بالشهادتين: شهادة أداء الواجب/ العمل، وشهادة الموت غدرًا دون اقتراف أي ذنب. فقد كانت مراكز الشرطة ورجال الأمن مستهدفة بغية الحصول على الأسلحة، وهكذا طال الخوف والموت غدرًا سلكا من أهم أسلاك الدولة، وهو سلك الشرطة الذي كان من المفروض حينها أن يوفّر الأمن والأمان لأفراد الشعب. ومنه أيضًا: «ويكشف الناس أنّ كلّ هذه الانكسارات والإحباطات ليست وليدة اليوم »(14)(صالح ياسمينة ، 2006، ص10).

«**الرشيد** ضحية أفكار خاطئة ، ضحية واقع خاطئ ، ضحية وضع خاطئ مع ذلك مات الرشيد دفاعًا عن واجبه ...!»(15)(ياسمينة صالح ،2006،ص23).

الرشيد الشرطي كان ضحية العنف الإرهابي الأعمى هذا ما حاول عمي العربي إيصاله وإفهامه للبطل الذي كان يجالسه في المقهى، ويتبادل معه الآراء والأفكار، ووضع البلاد المتأزم بسبب الإرهابيين الذين أطلق عليهم عمي العربي لقب التجار. «أولئك الذين يتاجرون بدم الناس في المحافل الدولية ؟ » (16)(صالح ياسمينة ، 2006، ص23).

ومن تجليات **العنف الإرهابي** أيضًا نرصد في الرّواية: «هل سمعت بالقنبلة التي انفجرت في مقهى " **La rose**" في العاصمة ؟ (...) إنّها كارثة ما يجري كارثة حقيقية (...) إيه اللي داروها راهم مخبيين رأسهم- أولادهم راهم في فرنسا والإنجليز .»(17) (صالح ياسمينة ،2006، ص51).

يشير هذا المقطع إلى بشاعة العنف الذي وصلت إليه الجزائر إبان فترة التسعينيات، وهذا ما شهدته شخصيات العمل، فهنا شخصية ابن ضابط الشرطة الذي كان زميل البطل في الدراسة وصديقه بعد ذلك.

«إنّ الشكل الأكثر تجسيدًا للعنف، بخاصة في **العصر الحالي** هو الإرهاب، هذه الظاهرة التي نشأت نتيجة الاضطراب السياسي في معظم البلدان، وعرفت أكبر أشكاله»(18)(بوحّرة غنية ،2012/2011م، ص18).

فالجزائر نزفت كثيرا، ودفعت ضريبة غالية جدًا. ومن أمثلة العنف المنصهر في زوايا الرّواية نجد أيضًا «(...) في لغة العنف كان **الطاغوت** هو كل شخص، وهو أي شخص (...) كل شخص لا يفكر كما يفكر **الطاغوت** الذي استحق "**التصفية**" ويسقط عليه

حكم القضائي من أمير الجماعة الذي يحلم "**بدولة طواغيت جدد** " يملكون حق العقاب والعنف ، ويملكون حق الحياة والموت » (19)(صالح ياسمينة،2006، ص70،71).

تشير الرّوائية هنا إلى مدى بشاعة و فظاعة الإجرام الذي وصل إليه الإرهابيون وما ارتكبوه بحق الشعب، معتمدين على الإذلال ونزع حق حرية الرأي والتعبير، وإعطائهم لأنفسهم حق تقرير مصير غيرهم، فأصبح الموت والحياة معهم لعبة متجردة من كل القوانين والضوابط.

إنّ البشاعة وحدّة العنف وتصاعده بلغ أوجه بظهور المجازر الجماعية المأساوية، وهذا ما أشير إليه في الرّواية : « أتذكر يوم ذهبنا إلى إحدى المدارس في منطقة تعرض سكانها إلى مجزرة لم ينج منها إلا القليل، ولكي تثبت البلدية أن لديها " **رجال واقفون** " قرّرت إعادة فتح المدرسة واستدعت إلى هذه تظاهر العديد من الشخصيات التي لم يأت منها أحد خوفًا من الكائن المنصوبة وسط الطريق من قبل الإرهابيين »(20) (صالح ياسمينة، 2006، ص71)..

هنا يتمظهر **العنف الإرهابي** أيضًا بكل بشاعته من خلال المجازر في حق المدنيين دون التمييز بين امرأة و شيخ أو طفل؛ فالكل يموت راسمًا لوحة دموية مفرغة حدّ النفور. هكذا أشارت **ياسمينة** لذلك في روايتها على لسان بطلها "**لاكامورا**" لموضوع حساس كخرق واضح لمجموع حقوق الإنسان، وتحدٍّ لكلّ المنظمات الحقوقية، مانحة بذلك جوًّا مشحونًا مليئًا بعدم الأمان، وغياب الاستقرار.

إن الجوّ السوداوي المشحون، المنبعث من رواية "**وطن من زجاج** " نتيجة الإرهاب وسم هالة الهلع المتأتي من فجيعة التسعينيات في الجزائر، فكان صوت الرّوائية الإبداعي دليلًا واضحًا على تأثير هذه الأزمة في نفوس المبدعين / الرّوائيين « فلقد أثرت الأزمة بشكل كبير ولافت على الرّواية الجزائرية سواء من حيث التيمات التي تكاد تكون متماثلة ومتشابهة » (21)(بوحرّة غنية،2012/2011م، ص18).

ومن أمثلة العنف الرّوائي نجد أيضًا وصف البطل عند ذهابه لتغطية حدث المجزرة الواقع في إحدى القرى كسبق صحفي « (...) كان هنالك طفل قالوا إنّ الجماعة الإرهابية اغتالت كلّ أفراد عائلته (...) كان ينظر إلى الكون بضغينة (...) ربما ضغينة مماثلة ضد

أمة التي ماتت ذبحًا في الوقت الذي قرّرت أن تبقيه حيًّا ، كانت في عينه انكسارات الوطن وتقاطعات الكارثة والوجع اليومي »(22)(ياسمينة صالح، 2006، ص ص 71،72).

ومن المجازر التي ذهب إليها البطل أيضًا لتغطية خبر القتل الجماعي نجد: «(...) يوم ذهبنا إلى قرية في ضواحي مدينة "**المدينة**" هاجمها المسلحون وقتلوا ثلاثين شخصًا من أفرادها (...) لا يمكن رؤية الحقيقة إلّا في عيون الناس الذين حكوا لنا ما جرى في الليلة السابقة عيونهم التي يمتزج فيها الرّعب والمرض والضغينة » (23) (صالح ياسمينة، 2006، ص72).

هذا دليل واضح على الوضع المرير الذي عرفته الجزائر كمشهد من مشاهد فيلم الرعب الذي يعيد نفسه كل مرّة، وصولاً إلى التنكيل بالجثث ومنه «(...) حكى لي عن عمله عن القتلى الذين يشاهدهم يوميًّا عن الجثث التي يعثرون على بعضها مقطوعة الرأس فيضطرون إلى البحث عن الرأس لساعات ، أحياناً يجدون رأساً قد لا يتناسب مع حجم الجثة ومع ذلك لا يجدون حلًّا سوى في تركيبة على جثة أخرى .»(24) (صالح ياسمينة،2006، ص78).

ومنه أيضاً :

«(...) **إنّه كان يضطر إلى وضع الرؤوس مصفوفة في شاحنة عسكرية وتوضع الجثث في شاحنة أخرى لتنقل كلّها إلى المستشفيات حيث يقوم الأطباء المختصّون بخياطة الرؤوس إلى الجثث (...) كان الطبيب مضطرًا إلى إعادة الرؤوس للجثث الكثيرة (...) كأن يخطئ في كثير من المرات** فيلصق رأس شخص آخر على جثة مختلفة البنية، فيصير شكل الميت غريباً (...) ثم ذات مرة اكتشفنا أن الخطر صار فادحًا حيث تم إضافة رأس امرأة إلى جثة رجل » (25) (صالح ياسمينة، 2006، ص78،79).

هكذا كانت حدّة **العنف الإرهابي** تتفاقم وتتصاعد يومًا بعد يوم كحمم بركانية تأكل الأخضر واليابس، هذا ما نلمسه من خلال حالات الخوف والهلع والموت المتجرد من كل الحُرُمات؛ حيث صارت الجثث كدمى تمزق وتخاط في غياب واضح لكلّ القيم الإنسانية، وكمشهد مقزّز يدفعك للغثيان.

«إنّ رواية المحنة **والعشرية السوداء** قد حشدت الأزمة الجزائرية والمأساة الوطنية بكل صدق وبخلفياتها وأسبابها ونتائجها كما جاءت في الواقع »(26) (بوحرّة غنية، 2012/2011م،ص19).

وهذا ما نلمسه في رواية "**وطن من زجاج** " فهي أيضًا جعلت أزمة التسعينيات تحت مجهر الكتابة وسلطة السرد، منطلقة من العنف الذي ينظر إليه «(...) كزمن طارئ، إن لم يكن وليد الساعة ...»(27))(حبيلة الشريفة،2010،ص146)..

ومن خلال قراءتنا، أيضًا، نرصد في الرواية نماذج أخرى للقهر اليومي: «(...) هؤلاء الذين كانوا يموتون يوميًّا، برصاصة تعتقد أنّها تحمي العقيدة من الرجس ! لهذا كان الخوف كبيرًا وشاسعًا كالبلاد».(28) (صالح ياسمينة،2006، ص87).

أشارت الرّوائية في هذا المقطع من الرّواية إلى المعتقدات الخاطئة للمتطرفين والإرهابيين الذين يبررون بها كل أعمالهم العنيفة والشنيعة باسم الدين والعقيدة .

« الإرهابي! إرهابي يتكرّر ، ويتكرّر .. إرهابي من نفس الألم من آباء مختلفين ! »(29)(صالح ياسمينة،2006،ص106). بتحدّث البطل هنا عن الحرب الأهلية العاصفة بالجزائر حينها فأبناء الوطن هم من يقتلون بعضهم البعض بحجج رجعيه متملقة « (...) فقدت وطنًا لم أعشه كما كان يجب علىّ إنسان مثلي أن يعيشه وفقدت استمراري وأمني ... فقدت أحلامي (...) فقدت كرامتي ... فقدت كبريائي ...فقدت كل شيء تقريباً » (30) (صالح ياسمينة، 2006، ص108).

يشار هنا إلى المكان / الوطن الجزائر، فغياب الأمن والأمان والاستقرار يجعل من يعيش فيه يعيش بنفسية مضطربة، فكيف إذا كانت غربة عن الوطن.

« (...) من ذا الذي يقنعني أن القتل علاج للأرواح المشردة ؟ من ذا الذي يقنعني أن الله أمر بخيانة الجار واقتحام بيته وذبحه على مرأى من أسرته لمجرد أنّه يعمل في مؤسسة يعتبرها القتلة تابعة للطواغيت. ما المجرم وما الطاغوت ؟ » (31) (صالح ياسمينة، 2006، ص116).

« (...) وجدتني أدخل إلى الأحياء الشعبية التي يقال عنها "محرّرة" بموجب انتماءاتها الـ "عقائدية ". دخلتها لأكتشف النّاس يمارسون الحياة بطرق مختلفة و بقناعات مختلفة .. الرجال بقمصانهم الطويلة ولحاهم المسترسلة والنساء بجلبابهن الأسود فيخيل إليك

أنك دخلت إلى دولة أخرى تابعة على خطوتين من الخط الفاصل من الدهشة والدهشة ...» (32) (صالح ياسمينة،2006، ص162).

تحضرنا في هذه القراءة شخصية الإرهابي برسم صورته من خلال شكله الخارجي، وهذا ما أشار إليه البطل: فهم رجال يرتدون قمصانا طويلة، ولحاهم مسترسلة، بالإضافة إلى ارتداء نسائهم للجلباب الطويل الأسود، وهذا يشير إلى أنّ الإرهابي في الغالب شخص ملتحي، يرتدي لباسًا خاصًّا.

2 . 3 : أزمة المثقف /العنف ضد المثقف :

أشارت الرّوائية "**ياسمينة صالح**" لهذه الأزمة الظاهرة التي عرفتها الجزائر إبان العشرية الدموية، وهو ما عاشه المثقف الجزائري، خاصة الكتاب والصحفيون، عنف جسدي واغتيالات، ولم يسلموا أيضًا من العنف الرمزي من خلال التهديدات، وهذا ما يدفعنا للقول بوجوب كتابة المحنة لأنّ ويلات الإرهاب دائرة على الفرد والجماعة مثل خلفية معظم الأحداث الرّوائية، وهذا ما كان مادة مغرية للكتابة أيضًا انطلقت منها **ياسمينة** لنسج عالمها الرّوائي "**وطن من زجاج** " ». "تجدر الإشارة إلى أن الواقع المقصود بالدّراسة في المتن التسعيني ليس واقعًا عاديًّا في بساطة وإنسانية الستينات والتسعينيات في الوطن العربي (...) لأنّه واقع متشابك ومفرط التعقيد (...) فضلًا عن انخراطه في حرب غير محدّدة الأهداف » (33) (شّطاح عبد الله، 2016).

فلقد كان بطل " **ياسمينة صالح** " في الرّواية شاباً صحفيًّا يواجه هو وصديقة النذير وزملاؤه التهديدات نفسها، ليغتال منهم العديد ويهاجر البعض الأخر. أمّا البطل فيبقى يعيش على نغمة الموت الفجائية يوميًّا، وهذا هو حال الطبقة المثقفة في الجزائر أثناء الفترة التسعينية السوداء. ومن أمثلة العنف الموجود في الرّواية المستهدفة للمثقف نجد: « (...) منذ صارت تصل إلى أبيه رسائل تهديد بالقتل فجأة تسلل الخوف إلى أبيه كان قبل تقاعده مسؤولًا في إدارة السجون وبالتالي كان للتهديدات معانٍ كثيرة » (34)(صالح ياسمينة، 2006، ص52).

تشير هنا للتهديدات الموجهة لوالد المهدي لأنّه ضابط ومسؤول في إدارة السجون، "المهدي" زميل البطل ومنه أيضاً :

« أخبرني النذير أنه لم يعد يزور أمه منذ وصلت الاغتيالات الشارع الذي يسكنه. فقد اغتيل الكثير من الأشخاص الذين عرفتهم ، ضباط وصحفيون وموظفون عاديون، صار الحي خطيراً منذ صارت مقالاته مقروءة ، ومنذ تحول من صحفي جزائري إلى "مارق جزائري ! » (35)(صالح ياسمينة ،2006، ص64).

يتكلّم البطل "لاكامورا " هنا عن الضغوط التي مرّ بها صديقه وزميله النذير والتهديدات التي طالته لأنه صحفي، مما دفعه للخروج من منزل أهله والسكن في مكان آخر، خوفًا من رصاصات الغدر المتربصة بالصحفيين.

« العمل الذي ندخله هو تجربتنا الجديدة، لا وقت للكتابة عن الوهم ..إنّه زمن الفجيعة والحقيقة !»(36)(صالح ياسمينة، 2006، ص68). يذكر النذير هنا البطل بصعوبة مهمتهم وعملهم كصحفيين في بلد ينهشه الإرهاب في جميع المجالات «أن تكون كاتباً أو صحفياً في هذه المدينة فأنت مشروع ضحية أيضًا مشروع مقتول مشروع ميت فلا فرق بين كاتب وزبال حين تقرر جماعة مسلحة القضاء عليك حين يقرر أخذ أن يكون ناطقاً رسميًّا باسم غرائيل »(37) (صالح ياسمينة، 2006، ص70).

وهذا دليل واضح واعتراف من البطل على سوداوية الواقع الذي كان يعيشه الصحفي حينها. ومنه أيضًا: « هذه الرسالة الرابعة التي تصلنا هذا الأسبوع (...) كنت أعرف ما فيها تصوّر شكل الحروف التي كتبت بها ، واللون الأحمر الشبيه بلون الدم ، وقطعة القماش الأبيض وقطعة من الصابون أيضًا تلك الرسالة الصامتة التي تحمل كل الخوف» (38) (صالح ياسمينة، 2006، ص86) .

وأيضًا : « (...) كنت أعي جيدًا أن الرسائل التي تصله هي نفسها التي ستصلني في اليوم التالي من موته . » (39) (صالح ياسمينة،2006،ص90).

يتحدّث البطل هنا عن رسائل التهديد التي كانت تصله هو والنذير بسبب عملهم في الصحافة.

وأيضاً « لم يكن **كريمو** يخرج كثيرا منذ صارت مهنة الصحافة سبباً مباشرة للموت منذ وجد الصحفي نفسه ضحية سهلة ومستساغة (...) كان كلّ صحفي أشبه بحركي في نظر القاتل » (40) (صالح ياسمينة ،2006،ص 127).هكذا أمسى الصحفي في الجزائر في الفترة السوداء ، مهمة خطرة يتعرّض أصحابها لأبشع طرق الاغتيال و العنف وللعديد

من رسائل التهديد بهدف تكميم الأفواه عن قول الحقيقة وإبانتها بموجب أداء مهمة نبيلة تكون نهايتها غالبًا مأساة كبيرة.

وعليه كانت **مأساة المثقف /الصحفي** في الجزائر في فترة العشرية السوداء شكلًا من أشكال العنف المطبّق حينها؛ فشخصية المثقف ركّزت عليها رواية المحنة الوطنية وجعلت منها محورًا رئيسًا تدور حوله الكتابة الرّوائية، وهذا ما قامت به **ياسمينة صالح** في روايتها "**وطن من زجاج**" ومنه كان موضوع العنف حاضرا بقوّة على مستوى الممارسة الإبداعية الرّوائية الجزائرية.

4.تحليل النتائج:

إن رواية "ياسمينة صالح" لم تغرد خارج السرب، بل كانت صوتا مدويا ومنددا بالعنف داخل الابداع الروائي وخارجه. وبما أننا توصلنا إلى نتائج مفادها أن للرواية دورا بارزا ومهما في إدانة العنف ككل خاصة الإرهابي منه، لِما له من آثار سلبية على نفسية المبدع /الروائي وهو المطالب بالكتابة والتعبير والإبداع والتجديد، لذلك فإن المكان يحسُنُ أن يكون مناسبا، وكذا الزمان والظروف المحيطة.

أعطت الروائية ياسمينة صالح خيوط السرد لبطل كان شابا صحفيا عانى ويلات الإرهاب، وعايش أناسا كانوا من بقايا الاستعمار الفرنسي، وهذا الأمر جزء من حياة الروائية التي اشتغلت في الصحافة، وهي أيضا من عائلةٍ مُقاومة، منها الشهيد والمجاهد...

5.خاتمة :

ملخص الدراسة أن الإرهاب في الجزائر، في فترة التسعينيات شمل جميع الأصعدة، فكان للمثقف، خاصة الصحفي، نصيب وافر منه. وهذا ما جسدته رواية ياسمينة صالح "**وطن من زجاج** "كون بطلها شابا صحفيا عانى كثيرا من التهديدات والضغوطات، وعايش استشهاد كثير من زملائه.

وبناء على ذلك رصدنا بعد ه الدّراسة مجموعة من النتائج، نعرضها في الآتي:

- إنّ الاشتغال على العنف الإرهابي إبان **العشرية السوداء** نوع من الجدل الذي أثارته إشكالية الكتابة الروائية الجزائرية .
- إنّ موضوع العنف استقطب اهتمام الخطاب الرّوائي باشتغاله المميّز على هذا الموضوع والتّطرق للتطرّف والعنف.
- إنّ جلّ الأعمال الرّوائية التي تبنت قضية العنف في العشرية الحمراء، ومن بينها "**وطن من زجاج** "، كلها إدانة وتنديد لكلّ تلك الجرائم البشعة والأعمال الدموية.
- إنّ الرّواية الجزائرية "**وطن من زجاج** " منبثقة من قلب المأساة، وهذا تمثيل واضح لحالة الاحتقان التي وصل إليها المبدع الرّوائي الجزائري.
- إنّ المحنة الرئيسة في عمل " **ياسمينية صالح** " المشتغل عليه كان فقدان الوطن / عنف الوطن .
- إنّ المبدع الجزائري أصبح بين ثنائية كتابة المأساة ومحنة المأساة.
- تسليط الضوء في رواية "**وطن من زجاج**" كان على شخصية المثقف المأساوي.

أتمنى أن يغوص الروائي الجزائري أكثر في هذا الموضوع، من أجل رفع التحدي، ومواجهة الذات للقضاء نهائيا على التداعيات النفسية للعنف، التي ما زالت إلى حد اليوم تشكل عقدا نفسية للشعب الجزائري، ككل، ناهيك عن المبدع باعتباره أكثر إحساسا. ولكي يبقى باب الدّراسة مفتوحًا، ننهيها بمقولة **للمهاتما غاندي** مضمونها: « إنّ النصر الناتج عن العنف مساوٍ للهزيمة إذ إنّه سريع الانقضاء ». وعليه نقول: إن العنف هو الهزيمة .

الـهـوامـش:

1. الفيروز آبادي مجد الدين، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط6، 1998.

2ابن منظور ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، الدّار المتوسطية للنشر والتوزيع، تونس، 2005.

3بييرفيو، العنف والوضع الإنساني، ترجمة زحلاوي إلياس ، المؤسسة الجامعية للدّراسة والنشر ، بيروت، لبنان، (دت).
4حسن إبراهيم، العنف من الطبيعة إلى الثقافة، دراسة أفقية،،الناشر للدّراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2009 .
5حامد خليل، الحوار والصدام في الثقافة العربية المعاصرة،دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1 ، 2001 .
6غشير سامية ،(2015)، تجلّي تيمة العنف في روايات بشير مفتي، المجلة الثقافية الجزائرية، filo//c :users/moh.info 2016/desk top/.
7المرجع نفسه.
8عثمان فايزة، ، ظاهرة العنف في الرّواية الجزائرية من 2000 إلى 2013م، مقاربة بنيوية تكوينية، ماجستير، كلية الآداب واللّغات ،جامعة محمد اسطمبولي،معسكر ،الجزائر ، تخصص الرّواية الجزائرية في قيود المناهج النقدية المعاصرة ، 2016/2015م .
9المرجع نفسه.
10 صالح ياسمينة ، وطن من زجاج (رواية)، ، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2006م .
11 المصدر نفسه .
12 المصدر نفسه .
13 المصدر نفسه .
14 المصدر نفسه.
15 المصدر نفسه .
16 المصدر نفسه.
17 المصدر نفسه .
18 بوحرّة غنية ،المثقّف والصّراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية "متهات ليل الفتنة" لـ: احميدة عياشي "أنموذجًا، 2012/2011م، ، كلية الآداب واللّغات ، جامعة الحاج لخضر ،باتنة، الجزائر ماجستير.

19 صالح ياسمينة ، المصدر السابق.

20 المصدر نفسه.

21 بوحرّة غنية ، مرجع سابق.

22 صالح ياسمينة، المصدر السابق.

23 المصدر نفسه.

24 المصدر نفسه.

25 المصدر نفسه.

26 بوحرّة غنية ، مرجع سابق.

27 حبيلة الشريفة ، الرّواية والعنف ، دراسة سوسيو نفسية في الرّواية الجزائرية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث ، إربد، الأردن (دط)، 2010م.

28صالح ياسمينة ، مصدر سابق .

29المصدر نفسه.

30المصدر نفسه .

31المصدر نفسه .

32المصدر نفسه .

33 شطاح عبد الله ،الرّواية الجزائرية التسعينية كتابة المحنة أم محنة الكتابة، تبين ، المركز العربي التّحاد ودراسة السياسات، الدوحة، قطر،العدد6 ،2016م،

34 صالح ياسمينة ، المصدر السابق https://book
. slore.dohainstitute.ory.

35المصدر نفسه .

36المصدر نفسه.

37المصدر نفسه .

38المصدر نفسه.

39المصدر نفسه.

40المصدر نفسه ،.